العصبيات القبلية فى مصر القديمة
النشأة / المكونات / المسار / آلية التوظيف
إعداد عماد صيام

تعد دائرة «مصر القديمة»، معقلا للعائلات الصعيدية، فمنذ عشرات السنين والدائرة تشهد صراعا صعيديا صرفا علي مقاعد مجلس الشعب، حتي أن أغلب الناجحين علي مقاعد البرلمان بها ينتمون إلي أصول صعيدية .

وصراع العصبيات فى الدائرة ينقسم إلي صراع محافظات في المقام الأول.. فهو تارة بين سوهاج وأسيوط، وتارة أخري بين سوهاج وقنا ..وأحيانا يكون الصراع «سوهاجي – سوهاجي كما الحال الآن فى انتخابات 2010 البرلمانية .

وبنظرة سريعة علي التاريخ النيابي للدائرة، سنجد أنه معظم النواب الذين مثلوها ينتمون الى هذه العصبيات الصعيدية ،منهم مختار علي سعد ويحيي السعيد ومحمد وهب الله، والثلاثة من أبناء سوهاج، ودائما وأبدا ما يدخل معهم في المنافسة من أسيوط الحاج معتمد شحاتة. وكان ينافسهم ايضا شبل همام من قنا إلا أنه حاليا عضو بمجلس الشورى .

والوحيد الذي نجح بالدورة قبل الماضية من خارج عصبية الصعايدة كان تيسير مطر، إلا أن الصعايدة في الانتخابات الماضية تحالفوا ضده وأفقدوه المقعد !

وتعد عائلات الصوامعة اكبر العصبيات الصعيدية التى يتنافس عدد كبير من أبنائها على اقتناص مقعد البرلمان وتشير الكتب والدراسات التاريخية الى ان الصوامع: قبيلة من قبائل هوارة البربرية في صعيد مصر , وأكثر فروعها بمحافظتي سوهاج وقنا بالوقت الحاضر ، ذكرها القلقشندى في صبح الأعشى بـ " الصوامع " بدون هاء , والعامة تنطقها الآن بالصوامع.وأهل هذه القبيلة يستوطنون كثيرا من البلاد فى جمهورية مصر العربية لا سيما فى محافظتي سوهاج وقنا , وبلاد الصوامعة التابعة لمحافظة سوهاج تنقسم إلى الصوامعة شرق الصوامعة غرب . ([1])

الصوامعة شرق قرية تابعة لمركز اخميم بمحافظة سوهاج حيث تقع شرق مدينة أخميم. عدد سكانها 18,815 نسمة. حسب تعداد1996م. يوجد بها معظم المرافق والمدارس والمعاهد الأزهرية بجميع المراحل التعليمية . من أبرز شخصياتها ، اللواء عبد الحميد حسين زيدان الذى كان من ضباط الأحرار لثورة يوليو ، والدكتور فوزي الدسوقي العمدة ، وكيل مجلس الشعب سابقا،ومؤسس وعميد المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بسوهاج، وترتبط هجرة وتواجد عصبية

[1]) انظر صبح الأعشى للقلقشندى , و الدرر الذهبية في أصول الأمة العربية لمحمد عيد الهاشمي.

الصوامعة بدائرة مصر القديمة بسوق اثر النبي لتجارة الغلال ([2]) حيث كان احد أهم روافد تكوينهم ,ويعد هذا السوق واحد من أشهر سوقين عرفتهما العاصمة المصرية منذ ثلاثينات وأربعينات القرن الماضي، إذ كان الشبان يأتون من قرى الصعيد الفقيرة جنوبا بحثا عن فرص العمل في القاهرة، وكانت البداية بالنسبة للوافدين الأشد فقرا هى «سوق مصر القديمة»، الذي أصبح اسمه منذ ستينات القرن الماضي «سوق أثر النبي» ومع التطورات الاقتصادية المرتبطة بالانفتاح والهجرة لدول النفط نقل معظم التجار الصعايدة من ذوي الأسماء البراقة أموالهم إلى تجارة العقارات وصناعة الرخام، والاستيراد والتصدير والمطاحن والمخابز.

و من ابرز عائلات الصوامعة الصعيدية التي اقترنت أسماؤها بسوق «أثر النبي» وبحل العديد من الخلافات الاقتصادية والسياسة والاجتماعية بمنطقة جنوب القاهرة خاصة حى مصر القديمة سبع عائلات هى:

1- أولاد ابوعوف
2- أولاد احمد
3- أولاد المراعى
4- أولاد المنانعة
5- أولاد الحجوجة
6- أولاد الهرامسة
7- أولاد مامن

والذين يشكلون حوالي 30 ألف أسرة تسكن فى شياخات دائرة مصر القديمة (كما أشار احد نشطاء حملة خالد القط والذي ينتمي إلى نفس العصبية)ينشطون فى قطاع المقاولات والاستثمار العقاري دباغة الجلود وصناعة الجلاتين ،وهناك عدد كبير منهم من المهنيين محامين/محاسبين/أطباء/ضباط/قضاة/مدرسين...الخ/أما فقرائهم فمعظمهم يعمل فى القطاع غير التقليدي كباعة جائلين .

وبالإضافة الى عصبية الصوامعة توجد عائلات «جهينة»، و«قصر حيدر» و«القصير» وهم من محافظة أسيوط، وعائلات «همَّام» من محافظة قنا والتي ينتمي إليها عضو مجلس الشورى عن الدائرة .

[2])سوق اثر النبي يقاوم الرحيل/ الأوسط ا/1 ابريل 2009 العدد 11082

و بجانب سوق اثر النبي كان هناك عوامل أخرى ساهمت فى تجديـــد دمـــاء العصـــبية الصعيدية وضخ مهاجرين جدد إليها وبالتالي الحفاظ على كتلتها العددية بل نموها ، وبالتـــالي تزايد التوظيف السياسي لها فى المعارك الانتخابية لعل أهم هذه العوامل هى:

1- تركز صناعة دباغة الجلود بالدائرة حيث ينتمي معظم أصحابها وعمالها لأبناء الصـــعيد وحيث تعيش اسر كاملة حول المدابغ فى أوضاع شديدة البؤس فى شريط يمتد من شياخة عين الصيرة بامتداد سور مجرى العيون حتى فم الخليج والتي ينمى جزء منها إداريا الى دائرة المنيل الانتخابية .

2- عزبة خير الله وهى أكبر منطقة عشوائية بالقاهرة بعد ان أصبحت جاذبة لأفقر المهاجرين من الصعيد نظرا لقربها من وسط المدينة ، وتوسطها لعدة مواقع جاذبة للعمالة كسوق آثـــر النبي والمدابغ وشق الثعبان

، وأعمال الخزف وكسر الرخام ببطن البقرة مما شجع القادمين من المحافظات الأخرى للبحث عن الرزق للاستيطان بها وخلق منطقة عشوائية امتدت عبر عشرات السنين على هضبة الزهراء التى تنقسم إلى عزبة خير الله وهى الجزء العلوي من الهضبة وتمتد عبر أحياء مصر القديمة والبســـاتين، ومن أسفلها منطقة إسطبل عنتر".وهى إحدى المناطق العشوائية التي انتشرت في القاهرة خـــلال العقود الماضية وتقع فى حى مصر القديمة ، ومن سماتها الطرق الضيقة غير المرصوفة وعدم وجـــود شبكة صرف صحي.

3- تركز صناعة الفخار والجبس فى المنطقة المجاورة لجامع عمرو بن العاص والتي تضم أكثر من 300ورشة معظم أصحابها والعاملين بها من ابناء الصعيد.

و رغم الاعتماد على العصبية كأحد أهم أدوات حسم المعارك الانتخابية والهبوط بها مـــن مستوى الصراع السياسي الى مستوى الصراع القبلي والعائلي والجهوى، إلا ان هناك العديد من التطورات الموضوعية التى قد تعمل على تفكيك تلك الكتلة التصويتية على المدى المتوسط ومـــن أهم هذه العوامل :

1- نقل سوق اثر النبي فهناك اتجاه لنقل سوق أثر النبي خارج وذلك لتنفيذ مشروعات مرتبطة بتطوير المنطقة ، وربط مجرى اثر النبي الملاحي بغيره من الموانئ النيلية ، لكن عددا من التجـــار رفعوا قضايا أمام المحاكم للحيلولة دون نقلهم إلى سوق العبور البعيد عن العاصمة.

2- نقل المدابغ (تـستـكمـل)

3--تطوير العشوائيات نتيجة خطورة السكن فى منطقة إسطبل عنتر، حيث ا أن مئات المنـــازل مهددة بأن تنهار الصخور من تحتها فتهوي بها او تسقط عليها من أعلاها فتدمرها ، حيث تتخلل

مياه الصرف الصحي مسام الحجر الجيري الذي تتكون منه صخور المنطقة فتصـــيبها بالشـــقوق والتصدعات.وهو ما يخشى معه تكرار حادث الدويقة لهذا تم نقل حوالي **1084** أسرة، وتم إزالة ما يقرب من **300** عقار على مساحة تقدر بحوالي **5500** متر مربع كما تم تخصيص عدد مـــن المحلات بديلة لأصحابها بمدينة النهضة([3])

4- نقل صناعة الفخار وكسارات الجير الملوثة للبيئة ، حيث انخفضت عدد ورش الفخار الى **70** ([4])بعد ان كانت **300**ورشة وذلك نتيجة قرار وزيرة البيئة عام **99**باغلاق كل ورش الفخار فى منطقة بطن البقرة نتيجة تلوثيها للبيئة لاعتمادها على مخلفات المستشفيات وإطارات العربيـــات كوقود فى أفران الحرق ، وهناك مشروع لنقل المتبقي من ورش الفخار ، أما كســـارات الجـــير والطوب بطريق الفسطاط فقد صدر لها قرار إزالة من محافظ القاهرة ونقل المتضررين إلى منطقة شق الثعبان وضمت الأرض إلى مدينة الفخار الجديدة.، وهو ما تسبب فى تشريد **1500**عامـــل معظمهم من ابناء الصعيد كانوا يعملون فى **36** مصنع([5])

كيف سيتم حشدهم يوم الانتخابات/او ما هو تأثير نقلهم على اتجاهات التصويت خاصة المرتبطة بالعصبية او بمرشح الإخوان)

وهى كلها عوامل تقابل بمقاومة حقيقية من رؤوس العائلات حفاظا على مصالحهم المرتبطة بالحفاظ على هذه الكتلة التصوتية لتوظيفها فى الانتخابات ، وقد حاولنا رصد آليـــة توظيـــف العصبية القبلية أثناء الانتخابات البرلمانية من خلال المشاركة فى لقاء كبار عـــائلات الصـــوامعة لتحديد موقفهم من الانتخابات البرلمانية([6]) وكانت أهم سمات اللقاء وما دار فيه هى :

1. ان مثل تلك اللقاءات التى يتم فيها الاتفاق لا يحضرها او يشارك فيهـــا إلا كبـــار العائلات ورؤوسها من ذوى الحيثية والنفوذ والثروة (وبالتالي المصـــالح المســـتهدف الحفاظ عليها) حضر اللقاء حوالي **150**شخص يمثلون كبار رؤوس العائلات السبعة التى تنتمي للصوامعة والذين يمثلون حوالي **30** ألف أسرة تسكن فى شياخات دائرة مصر القديمة (كما أشار احد نشطاء حملة خالد القط والذي ينتمي إلى نفس العصبية)و ينشطون اقتصاديا فى قطاع المقاولات والاستثمار العقاري دباغة الجلود وصناعة

---

[3] (http://www.egynews.net

[4]) الأهرام **2007/7/24**

[5])اليوم السابع **2010/11/1**

[6]) تم اللقاء فى المقر الانتخابي للمرشح خالد القط بميدان الملك الصالح مساء يوم **2010**(**2010/9/3**)

الجلاتين ،وهناك عدد كبير منهم من المهنيين محامين/محاسبين/أطباء /ضباط/قضـــاة / مدرسين...الخ ، أما فقرائهم فمعظمهم يعمل فى القطاع غير التقليدي كباعة جائلين .

2. يشارك فى مثل تلك اللقاءات معظم المرشحين المنتمين إلى العصبية وكذلك انصارهم من رؤوس العائلات ففي اللقاء المشار إليه حضر المرشحون فى دائرة مصر القديمـــة والملاصقة لدائرة المنيل(حيث تمتد اسر عصبية الصوامعة فى كـــل مـــنى الـــدائرتين) وشارك بالحضور خالد القـــط (الـــداعي للقـــاء)مرشـــح فئـــات /صـــلاح عبـــد السيد(فئات)مرشح فى نفس الدائرة،فتحي جليد(نائـــب دائـــرة المنيـــل ومرشـــح للانتخابات المقبلة /أسرة (والد) محمد على سعد مرشح فئات فى نفـــس الـــدائرة ، حيث سمح لكل منهم ان يخاطب المشاركين فى اللقاء بشكل مباشر مقدما نفسه وكأنه يسعى للفوز بتأييدهم كممثل للعصبية .
3. مثل هذه اللقاءات التى تأخذ الطابع الصعيدي او طابع جلسات العرب ، حيـــث لا تحضرها اى امرأة، تتوافد رموز العائلات فى مجموعات تمثل كل منها احـــد فـــروع العصبية ،حيث كانت تجلس كل عائلة متحلقة حول احد الموائد ، بل ان عدد كبير من رجال العائلات وشيوخها حضروا بملابسهم الصـــعيدية التقليديـــة (الجلبـــاب والعمامة).
4. الخطب والكلمات التى ألقيت تركز على استثارة روح الانتماء القبلـــي للعصـــبية كأحد آليات التوحد والوقوف خلف مرشحها للدفاع عن مكانتها ومصالحها مـــن نموذج لهذا الاستعانة بجمل من نوعية" نرحب بالحضور من أبناء الصوامعة " ،" اليوم يوم الصوامعة" ،" يجب ان يتوحد الصوامعة" ، " سندي ودعمي الاساسى هم عزوتي من أبناء الصوامعة الذين انتمى إليهم" ،" تاريخنا طويل ورموز الصوامعة على امتداد البلاد وفى مواقع المسئولية اثبتوا جدارتهم" ، " نحن الصوامعة الأحق بحكم مصر"

5.التأكيد على قدرة المتقدم لنيل إجماع العصبية على تأييده فى الانتخابات علـــى تأديـــة الخدمات والدفاع المباشر عن مصالح الأفراد المنتمين للعصبية فى إعادة إنتاج لدور "نائب الخدمات" نموذج لهذا " أنا عضو مجلس محلى لكن لدى أمل فى فرصة أفضل لخدمة الناس من خلال عضوية البرلمان" ، " أنا فى خدمتكم بالانتخابات او بدون انتخابات" ، "كلنـــا نعلم ان عضو مجلس الشعب لدية نفوذ وسلطة ومكانة ليست لعضو المجلس المحلى لهـــذا فهو مطالب بتوفير الخدمات المرتبطة بالصرف الصحي والمياه والمـــرور وكافـــة المرافـــق

الأخرى" ، " أعضاء البرلمان القدامى مطالبين بتقديم تقرير عما قدموه من خـــدمات" ، " خالد القط شاب طيب ومسالم ودائما فى خدمة الناس" ، " نريد مرشحا يخدم الناس ولا يخدم نفسه ومصالحه فقط"

6.التأكيد حول أهمية التوحد خلف قرار العصبية بتأييد اى من المرشحين وعدم الوقوع فى شرك الصراعات خشية ضياع المقعد نموذج لهذا ما قيل حول" نحن يـــد واحـــدة ولا يوجد بيننا تعارض قد نتنافس على خدمة الناس" ،" الصوامعة مستهدفة لهـــذا يجـــب ان نحذر الفتنة فيما بيننا" ، "ضرورة الالتزام بالكلمة والاتفاق بين أبناء الصوامعة"

فى ا لختام تم الاتفاق على الوقوف صفا واحد خلف من سوف يختاره الحزب الوطني (باعتباره المرشح الأوفر حظا فى النجاح لما سوف تقدمه له الدولة من دعم)، وتم التأكيد على هذا بالإشارة الى انه "اذا كنا سوف نلتزم بقرار الحزب وتأييد من يختـــاره لتمثيـــل الدائرة فى الانتخابات فمن باب أولى التزامنا بتأييد ودعم من ينتمي مثلنا إلى الصوامعة" وكما كان متوقعا أثناء اللقاء فاز خالد القط بترشيح الحزب إلا انه وضع معـــه منافســـا آخر لا ينتمي لعصبية الصوامعة.

وفى أثناء المعركة الانتخابية وتعبيرا عن التزام العصبية بهذا الاتفاق كان تعلن اللافتات الخاصة بخالد القط فى مناطق التجمع او التركز للأسر المنتمية للعصبية تأييد رؤوس هذه العائلات بالاسم مثل الحاج محمد راشد/أولاد الحاج فارس/المهندس حمى عطيـــة /علـــى سعد..الخ).